تعد الدراسات التي تتعلق بالفن والتربية الفنية والفلسفات التي تسندها مصدراً مهماً لتطوير التربية والفن والبرامج التنموية، وتفتح فرصةً باتجاه تغيير المجتمع وبناء حضارته وتحقيق آماله وتطلعاته وأفكاره، ولا سيما إذا كانت هذه الدراسات تتبنى الأفكار والقيّم الإبداعية في بناء الإنسان وأنظمته المعرفية، ولذلك شهد عالم التربية الفنية المعاصرة كثير من الدراسات التربوية والنفسية التي تتناول محاولات تطوير القابليات الفنية ومهاراتها الإبداعية، في الوقت نفسه التي تتبنى الفن وتطويره ودمجه بالقيّم الإنسانية والصناعية.

حاولت كثير من الدراسات في مجال الفنون الجميلة والتربية الفنية والفلسفة وعلم النفس بناء أُسس البرامج التعلّمية وتدريس المهارات واكتشاف المواهب في مجال الفن ومحاولة الإفادة منها في تطوير المهارات والرؤى والقيّم الإبداعية للطلبة، وتطوير برامج التربية الفنية وتحقيق الذات، وهذا البحث ينصب في هذا المجال الحيوي الأساس، فللفن أهمية شغلت حيزاً واسعاً في تفكير الباحثين والمهتمين به عامة، والإبداع فيه خاصة، ولأنَّ الفن ضرورة ملحة فقد لازم الإنسان على طول مسيرته الحياتية في حواره مع الكون من حوله ومع ذاته، فهذا الجدل متصل بوجوده وكينونته.

إنَّ الفنون ما هي إلا نتاج لمخاض النفس والعقل والبدن معاً، وإنَّ التفاعل ما بين النفس والعقل والبدن ينتج فناً، وقدرةً على الإفصاح عن المكنونات الداخلية للفرد، وإظهار قدراته الإبداعية، فضلاً عن التنمية الاجتماعية والثقافية التي ينتمي لها الفنان، والفن من الناحية النفسية يقوم بإعطاء الفرصة للفرد للخوض في حوار داخلي بينه وبين نفسه ليفرز عن ذلك تعبيراً يظهر للسطح والذات والآخر يدعى فناً، فالفن تعبير عن النفس، وعن الروح يتجه به الإنسان إلى الخارج، مستعيناً في الوقت نفسه بوسائط متعددة تسمى الخامات والمواد الفنية.

إنَّ تطوير القابليات الفنية (الذوقية- الجمالية) من العوامل المهمة في تطوير الأفراد والبرامج التربوية التي تتبنى عملية التطوير هذه، وقامت دراسات تدرس العلاقة بين القيّم الفنية والقيّم الإبداعية، وكيفية تطوير المهارات الفنية والقابليات والقدرات العقلية وعلاقتها بالبناء النفسي للإنسان.

عُرف الإبداع الفني أنَّه تفكير وإنتاج في نسق معرفي مفتوح يتميّز الإنتاج الفني فيه بخصيصة فريدة، هي تنوع الصور المنتجة التي لا تحددها الأفكار أو الأشكال والمعلومات أو المواد المعطاة التي قد تعتمد عليها للانطلاق. هو ظهور إنتاج فني وثقافي ارتباطي جديد في العمل الفني نابع من ذات الفنان وظروف حياته والحوادث والمجتمع من جهة، ومن جهة أخرى ابتكارية الموهبة والسمو في تحقيق الذات، التي تظهر ثمراتها في إنتاج الأعمال الفنية العظيمة، وتظهر فيها قدرة الفنان على تجنب العادي والطرائق التقليدية المتوارثة في التفكير أو الرؤية الجمالية مع إنتاج فني جديد أو غير شائع يمكن تنفيذه وتحقيقه في عملية تمتد عبر الزمان وتتميّز بالأصالة والقابلية للتحقيق المستمر. والموهبة الإبداعية الفنية نادرة دائماً، شأنها شأن الإبداع في الاختصاصات الأخرى، فالإبداع نادر ليس في مجال معيّن من مجالات الجهد الإنساني، بلْ في مجالات الحياة كلّها، إنَّه عملية يحاول فيها الفنان أنْ يحقق ذاته، باستعمال الرموز والدلالات الداخلية والخارجية التي تمثل حياته، وخيالاته، وتركيبته النفسية، وأفكاره، وما يحيط بنا من مثيرات لكي يقدم إنتاجاً فنياً جديداً لبيئته الثقافية والجمالية، على أنْ يكون هذا الإنتاج الفني نافعاً للمجتمع الذي يعيشه، مدفوعاً في تفكير بنسق مفتوح يتميّز فيه بخصيصة فريدة، هي تنوع الأشكال والصور والأساليب والتقنيات المنتجة التي لا يحدها الموضوع، ولا يكون إلاّ بامتلاك الفنان استعداد لتكامل القيّم والحوافز الأولية داخل بنية الذات، وتكامل الخبرة الداخلية مع الواقع الثقافي المعاصر ومتطلباته. إنَّه المعنى الجامع بين الجدة أو الأصالة والاستحسان، فالشيء المبتكر هو ما كان جديداً ومستحسناً، هو القدرة على الوصول إلى حلول جديدة صادقة، أو القدرة على إنتاج استجابة خيالية مقنعة وذات معنى. إنَّه إيجاد ثقافي أصيل لمشكلة فنية، ويقصد بالحل الفني الأصيل، الحل الذي لم يسبق صاحبه أحد.